

تقوية التكافل والتواصل الاجتماعي

من خلال النصوص القرآنية

دكتورة / سلمى بنت داود إبراهيم بن داود

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

ملخص البحث:

هذا مؤلف مختصر في المنهج القرآني في إبراز صور التواصل والتكافل الاجتماعي، بمظاهره المختلفة، والوسائل المعينة على تقوية التكافل والتواصل بين أفراد المجتمع، وأسباب ضعف ذلك، وطرق معالجتها. ووزعت المادة العلمية في البحث: إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث. المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة. تمهيد، وفيه: دواعي التكافل والتواصل الاجتماعي، ومفهومه. المبحث الأول: مجالات التكافل الاجتماعي. المبحث الثاني: مظاهر التواصل والتكافل الاجتماعي. المبحث الثالث: مظاهر ضعف التكافل والتواصل الاجتماعي، وعلاجها. ودور المملكة العربية السعودية في تقوية الترابط بين أفراد المجتمع. وختم البحث بذكر بعضاً من أهم نتائجه، ثم الفهارس الأربعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

والصلاة والسلام على القائل: "المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُّسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنهُ كَرْبَةً مِّنْ كَرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُّسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١)، وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فليس هناك كتاب في الوجود شملت نصوصه لمفاهيم عقائدية وآداب عامة وأخرى خاصة وأصول أخلاقية اجتماعية مثل كتاب الله تعالى، لأن القرآن منهج حياة، وهو يحدد الأسس والمسارات العامة، ثم يترك المجال لتدبر الناس، بل أمرنا الله تعالى بتدبر كتابه الحكيم في أكثر من آية، والتي تفرض على بني البشر أن يسود بينهم التواصل، والتكافل من أجل تقوية أواصر المجتمع، وصيانتة من الانحراف، فالمجتمع يلجأ إلى التواصل مع أفرادهِ لتلبية رغبات واحتياجات مادية، ومعنوية، وفكرية، ونفسية، والله تعالى جعل ذلك التواصل فطرة جبلية في النفس البشرية، فلا يستطيع الإنسان الاستمرار في الحياة منفرداً، بل لابد أن يحتاج إلى من يتواصل معه ويساعده، ولا تقوم حياة الناس إلا بتعاونهم فيما بينهم، فأحوال الناس متقاربة في الأوضاع المادية، والأحوال المعرفية، ولا بد من تحقيق التوازن بين فئات المجتمع المختلفة للقيام بالمهام المطلوبة منهم دون خلل أو تقصير.

والذي يلقي نظرة إلى واقعنا الذي نعيشه اليوم يجد ضعفاً شديداً في التكافل والتواصل الاجتماعي وكلما بعدت المجتمعات عن تطبيق النصوص الشرعية كلما زادت مظاهر الوهن الاجتماعي لديها، ولقد عالجت النصوص القرآنية هذا الضعف والوهن، ونحن اليوم بحاجة للتطبيق تلك النصوص على أرض الواقع لتكون نحو مجتمع متواصل متكافل، وهذا البحث قد سلط الضوء على النصوص القرآنية التي تحدثت عن التواصل والتكافل الاجتماعي ودرستها، وتوظيف ذلك لحل مشكلة ضعف التواصل والتكافل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب لا يظلم المسلم المسلم (٢٤٤٢)(٣/١٢٨).

الاجتماعي، وقد سُمي البحث — (تقوية التكافل والتواصل الاجتماعي من خلال النصوص القرآنية).

وتتجلى أهمية دراسة هذا الموضوع في أن هذا النوع من الدراسات يتفق واتجاهات العصر، ويظهر شمولية القرآن الكريم في شتى جوانب الحياة الإنسانية على العموم، والاجتماعية على وجه الخصوص كما تربط بين منهج القرآن الكريم في التكافل والتواصل بتقوية صلات المجتمع وتلبية حاجاته وحاجات الفرد من خلال الارتباط بالقرآن الكريم.

وقد أُلّف في هذا الموضوع عدة دراسات لأهميته، منها :

١- التكافل الاجتماعي في الإسلام، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٨٦م، ط١.

٢- التكافل الاجتماعي في الإسلام، لعبد الله بن ناصح علوان، دار السلام للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ط٧.

٣- فن التواصل مع الآخرين، لهشام أبو القمير.

٤- فن التواصل والاقناع، ليلي شحرور.

وهذا البحث تناول الموضوع، وفق منهجية معتمدة في الدراسات القرآنية. وتهدف هذه الدراسة إلى تحفيز التأمل والتدبر في القرآن من خلال التعرض للآيات التي تأمر وتحض على التكافل لاستخلاص جوانب من منهجية القرآن الكريم في تقوية ضعف التواصل والتكافل في المجتمع.

منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على : المنهج الاستقرائي، والموضوعي، والتحليلي.

خطة الدراسة:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة.

تمهيد، وفيه: دواعي التكافل والتواصل الاجتماعي، ومفهومه.

المبحث الأول: مجالات التكافل الاجتماعي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التكافل الفردي.

المطلب الثاني: التكافل الأسري.

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي.

المطلب الرابع: التكافل الإنساني.

المبحث الثاني: مظاهر التواصل والتكافل الاجتماعي، وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: كبار السن.
- المطلب الثاني: الصغار، والإيتام.
- المطلب الثالث: الفقراء والمساكين.
- المطلب الرابع: صاحب الجوار.
- المطلب الخامس: الضيف والغريب.
- المطلب السادس: الجيل القادم.
- المبحث الثالث: مظاهر ضعف التكافل والتواصل الاجتماعي، وعلاجها وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: الإعراض عن الناس والتكبر عليهم، وعلاجه.
- المطلب الثاني: سوء الظن بالآخرين، وعلاجه.
- المطلب الثالث: دور المملكة العربية السعودية في علاج ضعف الترابط بين أفراد المجتمع.
- ثم كانت خاتمة البحث والتي تضمنت بعضاً من أهم نتائجه، ثم الفهارس الأربعة.
- وسيجيب البحث عن التساؤلات التالية:
- هل التكافل الاجتماعي يخص المسلمين أم يشمل الإنسانية جمعاء؟
- هل هناك تكافل بين الإنسان وذاته؟
- كيف تحل مشكلة ضعف التكافل بين أفراد الأسرة الواحدة؟
- ما هي العلاجات القرآنية لتقوية التكافل والتواصل المجتمعي؟
- ما هو دور المملكة العربية السعودية في علاج ضعف الترابط بين أفراد المجتمع؟

تمهيد

من الضروريات البشرية، التواصل والتكافل بين الأفراد والمجتمعات، وذلك للأسباب التالية:

١- طبيعة الإنسان، والغاية التي خلق لأجله، وهي عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ثم عمارة الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، والعبادة، والعمارة تستلزمان فهم خطاب الوحي، والذي يحتم على العبد التواصل مع الرسل، ومع غيرهم.

٢- حاجات الإنسان الاجتماعية: الإنسان يلجأ إلى التواصل مع الآخرين لإثبات الذات وتحقيق رغباته واحتياجاته مع احترام الآخرين وتقديرهم، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات: ١٣] ولكل من التكافل والتواصل مفهوم تعارف عليه.

مفهوم التكافل والتواصل الاجتماعي.

أولاً: التكافل: كَافَلَ الصَّدِيقَانِ: كَفَلَ، ضَمِنَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، تكافل القوم: تعايشوا وتضامنوا، كفل بعضهم بعضاً تعايشوا وتضامنوا، كفل بعضهم بعضاً: تكافلوا في الشدائد عندما يتكافل أبناء الأمة يصبحون قوة لا يُستهان بها^(١).

ثانياً: التواصل: هو الاقتران والاتصال والترابط والالتئام والصلة والجمع، وتواصل يتواصل، تواصلًا، فهو مُتَوَاصِلٌ

وَتَوَاصَلَ: خلاف تصارم، تَوَاصَلَ الصَّدِيقَانِ: وَاصَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فِي اتِّفَاقٍ وَوِثَامٍ، اجْتَمَعَا، اتَّفَقَا، تَوَاصَلَ الْحَدِيثُ حَوْلَ الْمَائِدَةِ: تَوَالَى، وتواصلت الأشياء: تتابعت ولم تنقطع^(٢).

إذن فهو التفاعل بين طرفين أو أكثر الناتج عن استعمال حواس التواصل والتي يهدف بها إلى الوصول لمعرفة الحق.

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ١٢٨).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/ ٣١٨).

المبحث الأول: مجالات التكافل الاجتماعي.

المطلب الأول: التكافل الفردي.

ويراد به التكافل بين نفس الإنسان وذاتها. وهذا التكافل الفردي هو جزء من التكافل الاجتماعي الإسلامي؛ لأن تربية الفرد على اسناد المهام لها وتحملها المسؤولية مع تبعاتها إنما هي إعداد له في منظومة المجتمع، لذلك أوجب الشرع على كل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص، لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة، وانطلاقاً من مفهوم التكافل المتضمن للمحافظة على المصالح العامة والخاصة، ودفع المفساد والأضرار المادية والمعنوية، نجد أن القرآن الكريم عني بتربية الفرد، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، وجعله مسئول عن نفسه أمام خالق هذه النفس ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ

نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿ [القيامة: ١٤]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ [المدثر: ٣٨]، ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿ [الطور: ٢١]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿ [الأنعام: ١٦٤]، لذلك يسعى جاهداً إلى تزيينها وتهذيبها وإصلاحها ودفعها إلى الخير وحجزها عن الشر ودفعها إلى التطور حتى تصل إلى كمالها المقدر لها، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿ ٧ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿ [الشمس: ٧ - ١٠]، كما أنه مسئول عن حفظها ورعاية صحتها وتمتعها في حدود المباح، قال الله تعالى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [القصص: ٧٧]، وكذلك هو منهي عن إتلاف نفسه وإضعافها وتعذيبها، وقتلها بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿ [النساء: ٢٩]، وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا" (١).

كما يحرم عليه تعاطي كل ما يؤثر على صحته أو عقله، فإن من المقاصد العامة الضرورية للشريعة الإسلامية حفظ النفس والعقل والمال، قال الله تعالى في الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب باب شرب السم وما يخاف منه (٥٧٧٨) (١٣٩/٧).

فَأَجْتَبَاهُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١]، والنفس الإنسانية بحاجة إلى التكافل والتصالح مع ذاتها حتى لا تتبع هواها.

والقرآن الكريم عني بتكافل الانسان مع ذاته ليكون ذلك نظاماً لتربية نفسه، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، ويكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية، بما في ذلك العلاقة التي تربط الفرد بالدولة، وفي النهاية نظاماً للمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: التكافل الأسري.

وهو رعاية الإنسان لوالديه، وإخوته، وزوجته، وأولاده، ويمتد هذا التكافل ليشمل كل ذوي الأرحام، قال تعالى: ﴿وَوَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها، والأسرة هي لبنة من لبنات المجتمع، وفيها ينشأ الأبناء؛ لذا اهتم القرآن الكريم لأن تكون هذه اللبنة صالحة من أساسها، ولتحقيق ذلك شرع لنا منهاجاً واضحاً لتقوية التكافل بين أفراد الأسرة، فمن صور التكافل الأسري في القرآن الكريم:

١- حسن الاختيار لشريك الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ ۚ وَلِأُمَّةٍ مَّوْمِنَةٍ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا ۚ وَاعْبُدُوا مَوْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيِّنُ ۙ آيَاتِهِ ۗ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ [البقرة: ٢٢١]

وقد وجه الرسول ﷺ الزوج في كيفية اختيار الزوجة فقال: "تَنْكِحِ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرِي بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ بِذَلِكَ" (١). ووجه المرأة عند اختيارها للزوج فقال عليه الصلاة والسلام: "إِذَا جَاءَكُمْ مَن تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا" (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب (٩٠٥٠) (٧/٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين (١٤٦٦) (٢/١٠٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه (١٠٨٥) (٢/٣٨٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٢- الحث على تنمية المودة والمحبة بين الزوجين، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

٣- حفظ الحقوق بين الزوجين: قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

٤- الحث على المعاملة الحسنة بين الزوجين في حال الاتصال، وفي حال الانفصال، ففي الأولى: قال الله تعالى: ﴿وَعَايَشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعْسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وفي حال الطلاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا فَتَّخْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُولًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقد كان رسول الله ﷺ خير الناس معاشرًا لأزواجه وأحسن الناس رفقا بهن، وكان يمازجهن ويساعدهن في أعمالهن، ويسامحن فيما يبدر منهن من أخطاء، وقد قال رسول الله ﷺ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"^(١)، وقال رسول الله ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ"^(٢).

٥- وجوب الإنفاق على الأسرة من قبل الزوج، ذلك لأن المرأة داخلة في ولاية زوجها، فهو مسئول عنها بالنفقة، في حال الزواج، وفي الطلاق، ففي الزواج قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]

وفي حال الطلاق فإن النفقة والسكن واجبة عليه طوال فترة العدة، كما أنه يدفع لها ثمن إرضاعها لابنه منها حال طلاقها، قال الله تعالى: ﴿أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَلْيَضْحَكُوا حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْنِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ نَعَسْتُمْ فَاتْرُكُوا لَهُنَّ وَآخَرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]

(١) رواه الترمذي في سننه، باب (٣٨٩٥) (٧٠٩/٥) في فضل أزواج النبي ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٥/١).

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة (١١٦٢) (٤٥٧/٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة (٣٧٥/١).

٦- الاعتناء بالأولاد رعاية وتربية: تكفل القرآن الكريم بحقوق الأولاد كاملة، منذ الولادة ومن ذلك النص على استكمال الرضاعة قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَامَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

مما سبق يتبين أن القرآن الكريم حافظ على الأسرة من الانهيار والتفكك، وقوى أواصر الترابط بين أفرادها بفرض التكافل بينهم بادئا بأرباب الأسر رجالاً ونساءً بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَكْتُبَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

وهذه الوقاية تضمنت أنواع من التكافلات كالتكافل التعليمي، والتتقيفي لأفراد الأسرة، كما تضمنت تحمل الزوجين للمسؤولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها كل بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها. قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَالِدِهِ، فَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي

وهو التكافل داخل الجماعة.

لقد أقام الإسلام تكافلاً مزدوجاً بين الفرد والجماعة، فأوجب على كل منهما عدداً من المسؤوليات والتبعات تجاه الآخر، لتربيتهما على أسس دقيقة من التوازن، والتعاون، فمازج بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة، بحيث يكون تحقيق المصلحة الخاصة مكملاً للمصلحة العامة، وتحقيق المصلحة العامة متضمناً لمصلحة الفرد، فالفرد في المجتمع المسلم مسئول عن حفظ النظام العام، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع، أو يعطل بعض مصالحه، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المرأة راعية في بيت زوجها (٥٢٠٠) (٣١/٧).

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١]

كما أن القرآن الكريم أمر الفرد بإجادة أدائه الاجتماعي بأن يكون وجوده فعالاً ومؤثراً في المجتمع الذي يعيش فيه، فحمل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع؛ وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

وهذا التعاون المطلوب يشمل الأسرة والجيران والأصحاب والرفيق في السفر والمنقطع والغريب، واليتيم والمسكين وكل ذي حاجة في المجتمع الإسلامي، وقد قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضاً" ثم شبك بين أصابعه^(١). وقد بين الرسول ﷺ حال أفراد المجتمع في تماسكهم وتكافلهم بصورة تمثيلية رائعة حيث قال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^(٢).

المطلب الرابع: التكافل الإنساني

أعني به التكافل بين بني آدم على اختلاف مللهم. البشر مزيج من أفراد متباينين في الممل والنحل، ومن عظمة الدين الإسلامي العناية بما يكفل الحياة الكريمة لكل إنسان لذا فدائرة التكافل والتواصل فيه تشمل بني البشر كلهم عربيهم، وأعجميهم، مؤمنهم، وكافرهم، فديننا لا يمانع من أن ينضم في مجتمعه غير المسلم بل يأمر بحمايته، فإذا فات غير المسلم رابطة الإيمان وأخوة الدين، فلن تقوته حماية المسلمين وعدل الإسلام وتكافل المجتمع الإسلامي، فعلاقة المسلمين بغيرهم، داخل بلاد الإسلام تقوم على التسامح والإحسان والبر، وحسن المعاشرة، وتحقيق العدل وإقامة القسط، وهي من صور التكافل والتواصل بين الناس ويتضح ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم منها:

١- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، الآية تضمنت إثبات الصلة الرحيمة التي تربط الناس جميعاً، وما يبني عليها من تعاطف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، (٦٠٢٦) (١٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تواد المسلمين وتعاطفهم (٨٦/٢٥) (١٩٩٩/٤).

وتواد وتراحم، وتكافل، وتواصل، فبالرغم من اختلافهم في الأجناس والألوان والأديان، إلا أن بينهم وحدة مترابطة، فالخطاب هنا مصدر ببناء الناس عموماً، فهو موجه لكل إنسان؛ لأنه يقع التفاخر بالأنساب من كل إنسان، والخطاب للمؤمن والكافر، والبر والفاجر فلا بد للمسلمين إذن من التعارف مع غيرهم، ومن التعاون مع كل من يجنح إلى التعاون معهم على ما فيه خير الإنسانية عموماً، وخير الإسلام خصوصاً، وقد جاء في الآية التي سبقت هذه النهي عن السخرية بالناس والازدراء بهم، وعن اللمز والتنازير بالألقاب، لأنهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة، فكيف يسخر الأخ من أخيه. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ وبطوناً وأفخاذاً وفصائل شعوباً وقبائل وعائلات وأسر لحكمة التعارف المقترضي للتعاون والتكافل إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع متكافل متصالح^(١). وفي التفسير^(٢): ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب".

فالقرآن الكريم دعا الناس جميعاً للتعارف والتآلف ونهاهم عن التفاخر بالأنساب، ونسخ القوميات والأجناس، فالناس جميعاً رحم واحد لتقوية التكافل والتواصل بين أفرادهم^(٣).

٢- قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، الآية صريحة بموادعة أهل الذمة المسالمين غير المقاتلين فحث على إكرامهم وبذل الجهد في برهم والإحسان إليهم، قال المفسرون: "عنى بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: "إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٧/٣٣٤).

(٢) ينظر: تيسير المنان للسعدي (١/٣١٢).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير (٣/٢١٩)، وزهرة التفاسير (١/٨٠٢).

إليهم" (١)، وقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]

دللت الآية أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستتبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة؛ وإن كان الولد مسلماً (٢)، فأبي عظمة بعد هذا التشريع التكافلي لتقوية الصلات؟

وهذه الآية الكريمة بما تضمنتها من قيم اجتماعية دينية كفيلة بتقوية صلات المجتمع ومد جسور التكافل والتواصل الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم.

٣- قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨٠]، الإسلام جاء بتأليف القلوب وحملها على الحق والعدل فأمر به بين البشر عموماً، وخصَّ بمزيد تأكيد العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، ويستدعي العدل الاعتراف بالفضل لذويه، وهو القانون العالمي الدولي الذي يسود المجتمعات البشرية كلها. عدل في كل ميدان، وقسط يكفل الحق لكل الناس، ولو كان من غير المسلمين، ولو كان من الأعداء والمناوئين .

وإذا ألقينا نظرة على دولة الإسلام أنفا نجد نبوغ عدد من العلماء والأدباء والأطباء والنابعون في مختلف الفنون والأعمال من غير المسلمين، وما كان لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا التكافل الإنساني في الإسلام، وسماحته ونبذته للتعصب الديني. فالإسلام قد جعل العدل فوق كل شيء، فهو يزن بالقسطاس المستقيم بين الكافر والمسلم، والعدو والموالي والمعاهد، فهم جميعاً في نظره أمام العدالة سواء، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) ينظر: جامع البيان (٦٢/١٢)، ومن صور التكافل معه دفع شيء من أموال الزكاة المفروضة، ودفع الكفارة الواجبة إليهم، والتصديق عليهم، فقد روى أبو عبيد أن بعض المسلمين كان لهم أنسباء وقرباءة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، يريدوهم أن يسلموا، فنزلت: ﴿أَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدًىٰهُمُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أخرجه أبو عبيد في الأموال ح (١٣٢١)، وابن زنجويه في الأموال ح (١٨٦٢)، وصححه

الألباني في السلسلة (٣٨٩ / ١)

(٢) ينظر: فتح الباري (٥ / ٢٣٤)

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ [النساء: ٥٨]، هكذا على الإطلاق بين الناس على اختلاف الملل والنحل والديانات والأجناس ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، ولا تميلوا إلى مسلم لإسلامه ولا على كافر لكفره، ولا تميلوا إلى ولي لولايته وعلى معاد لعداوته، ولا تميلوا إلى غني لغناه ولا على فقير لفقره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَاوَلَا أَوْ تَعَرَّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]، والمعنى: روضوا أنفسكم على طاعة خالفكم، وعودوها على التزام الحق والعدل. واجعلوا ذلك شأنكم في جميع الظروف والأحوال فلا يكفي أن تلتزموا الطاعة والعدل مرة أو مرتين، وإنما الواجب عليكم أن يكون التزامكم لذلك في كل أوقاتكم وأعمالكم^(١).

٤- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، أمر القرآن الكريم ورغب بالصدقة على غير المسلمين، وجعل كفالة الذميين ضمن نظام التكافل الإسلامي.

والتاريخ شاهد لصور كثيرة من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك^(٢).

المبحث الثاني: مظاهر التواصل والتكافل الاجتماعي.

المجتمع يضم فئات متباينة في الاحتياج، منها ما هي أحوج إلى التكافل الاجتماعي بمفهومه الخاص، ومن هؤلاء:

(١) ينظر: التفسير الوسيط (٧٢/٤).

(٢) ينظر: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، للدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية. كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى واليه عدي بن أرطاة: "وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب؛ فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه" أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال ح (٩٤) وانظر: الأموال، ابن زنجويه (١ / ١٦٩)، وقد سجل هذه الرعاية الفريدة المستشرق بارتولد في كتابه "الحضارة الإسلامية" إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل" تاريخ أهل الذمة في العراق، توفيق سلطان، ص (١٢٤).

المطلب الأول: كبار السن

يمر الانسان بمرحلتين من الضعف أولا وآخرا، فالأولى يعقبها قوة وعفوان. ومرحلة الضعف الثانية تتطور إلى ضعف، وضعف شديد يفقد معه الإنسان الكثير من نشاطه، وحيويته فيكون فيها محتاجاً لمن يساعده على قضاء كثير من شؤونه في الحياة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، لا يبلغ الانسان من الكبر عتيا إلا وقد قدم التضحيات التي تسببت في ضعفه من أجل الجيل الناشئ لذا جاء التوجيه القرآني بعناية خاصة لكبار السن واعتبرهم مستحقين للكثير من الرعاية، وأحاطهم برعاية تخفف عنهم وطأة الشيخوخة، بعكس ما يحدث في المجتمعات الغربية المعاصرة، حيث ضعفت مكانة المسنين فيها؛ لضعف التكافل بينهم وانتشار مظاهر تفكك الروابط الأسرية والعاطفية بين أفراد العائلة، فيهجر الأبناء المسنين، ويقسوا المجتمع عليهم ويتذمر منهم، فيشعرون أنهم عالة على المجتمع، وأنهم دون نفع في الحياة، وتزداد الأمراض النفسية بينهم، والانهيارات العصبية وحوادث الانتحار، ولا يلقون الرعاية الكافية من عائلاتهم، فيعيش أغلبهم في دور العجزة في حين أن المجتمع الإسلامي لم يعرف مسألة تسليم مسنيها إلى دور العجزة إلا في مراحل متأخرة جداً^(١).

وجاء التوجيه القرآني بتقوية الصلة بالمسنين برعاية الوالدين، فأمر الأبناء بالإحسان إلى الوالدين مطلقاً، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]

وخص الله حالة الكبر بمزيد من الأمر بالإحسان، والبر، والعطف، والشفقة والرحمة؛ لتغيير الحال عليهما بالضعف، والكبر، والعجز، فكبر السن يقود إلى اضمحلال القوة البدنية، وضعف الحواس، أو فقدان بعضها، وعدم القدرة على أداء ما كانا يفعلانه قبل ذلك، وإصابة النفس بالأمراض كما يصاب الجسد، وكل ذلك أو بعضه يوجب رعاية هذا المسن، والعناية الفائقة به، مما يوجب الاستئصال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضب الولد على الوالدين، وأقل المكروه ما يظهر بنتفسه المتردد من الضجر، وقد أمر الله أن تحمل التعب والنصب، وعدم التبرم، وأن يقابل الوالدين بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب، قال الله تعالى: ﴿وَقَصِّ رَبِّكَ لَا تَعْبُدُوا

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي (١٢/١٨٨٥).

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿[الإسراء: ٢٣].

فكبير السن أدى ما عليه، وبقي الذي له، لذا كانت مسئولية الأبناء عن بر الآباء ورعايتهم مسئولية إزامية دينية وقضاء، بمعنى أن القرآن أوجبها على الأولاد وألزمهم بها، فإذا قصرُوا فيها ألزمهم بها القضاء، ولو كان دينهما مختلفاً عن الأبناء فإن ذلك لا يسقط حقهم ولا يلغي تلك المسئولية، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿[لقمان: ١٤ - ١٥]، وإذا لم يكن لهم أبناء انتقلت المسئولية إلى المجتمع، متمثلة في الدولة بصورة إزامية.

ومما يعزز ذلك ما تترخ به النصوص من ترغيب في الخير وفي الإحسان إلى الآخرين وخاصة العاجزين، بما فيهم كبار السن، والذي ينشئ في النفس المؤمنة دافعاً تلقائياً إلى بذل الخير طواعية في تلك الوجوه.

وما ينطبق على الوالدين ينطبق على غيرهما من الأقارب والأباعد الضعفاء، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، وخير من تمثل لأمر الله تعالى من نزل عليه هذا التوجيه وكان قرآناً يمشي على الأرض، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم"^(١).

وقال أيضاً: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا"^(٢). ويأمر النبي ﷺ الناس بتقديم الأكبر سناً بقوله: "كَبُرَ كَبْرٌ"^(٣)، وذلك سواء في الحديث أو المشاورة أو دفن الأموات، أو إمامة الصلاة وغيرها، ويقول ﷺ في ترتيب صفوف الجماعة: "لِيُنِي مِنكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ"^(٤)، والتزم

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة الصبيان، (١٩٢٠) (٤/٣٢٢)، وصححه الألباني في السلسلة (٢٣٠/٥).

(٣) متفق عليه، ينظر: صحيح البخاري، باب كتاب الحاكم إلى عماله (٧١٩٢) (٧٥/٩)، وصحيح مسلم، باب القسامة (١٦٦٩) (٣/١٢٩٤).

(٤) أخرجه مسلم، في صحيحه، باب تسوية الصفوف وإقامتها (٤٣٢) (١/٣٢٣).

الصحابة الكرام هذا الأدب في منهاج التربية النبوية، فكانوا يقدمون الأكبر سناً في القول أو الكلام، أو الإطعام أو الشرب، وفي غير ذلك. كل ذلك يدل على التزام هذا الأدب الإسلامي الرفيع باحترام كبار السن وأهل الفضل والمعروف، في مختلف الأحوال والمواقف، ولاسيما وقت اشتداد الحاجة إلى المعونة الطبية التي تساعد على حفظ الجسد والصحة والحياة، وتحمي من الوقوع في الضرر وتقاوم المرض واشتداد البؤس والحاجة.

فجدير بالمسلمين والمسلمات في عصرنا وفي كل عصر رعاية هذا الأدب، حتى يكون المسنون بحسب ظروفهم وأوضاعهم مثل غيرهم في الرعاية والعناية والاحترام، وتوفير الحاجات الغذائية والدوائية، بل والترفيهية؛ لأن كبار السن أحوج إلى هذا كله من غيرهم الذين ينهمكون في مشاغل الحياة، وتساعدتهم صحتهم وقوة بنيتهم على تخطي الأزمات والمحن وظروف الحياة القاسية^(١).

المطلب الثاني: الصغار، والإيتام.

سبقت الإشارة إلى اهتمام القرآن بالصغار عند الحديث عن التكافل الأسري والزامه الآباء برعاية الأبناء وتربيتهم حتى بلوغ سن الرشد مع القدرة على استقلالهم بالمسؤولية، فإذا فقد هؤلاء الأبناء آباءهم فإن المسؤولية تنتقل بشكل متدرج إلى الأقارب القادرين، فإذا انعدموا قامت على المجتمع بأسره.

وقد راعا القرآن الكريم الجانب المادي، والنفسي لليتيم في الآيات التي أوصت به، وهي على خمسة أضرب:

الأول: آيات جاءت لدفع المضار عن اليتيم، فأمر سبحانه بحفظ أموال اليتامى والسعي في تنميتها والابتعاد عن كل تصرف ضار بها، قال الله عز وجل: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَتَيْنَا مَالَ الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالْخَيْثِ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

الثاني: جلب المنفعة لليتيم، فالله عز وجل يأمرنا بأن نرعى مال اليتيم، وأن نستثمره، ونحفظه، وننفق على اليتيم، فإذا بلغ رشده دفعناه إليه، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنِ عَانَسْتُمْ

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الاسلامي (١٢/١٧٩٣). بتصرف.

مَنْهُمْ رُسُودًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴿[النساء: ٦]، إلى أن قال: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿[النساء: ٦].

الثالث: عدم الإساءة لليتيم في الجانب النفسي، يعني ليس فقط في الجانب المادي، لا، بل حتى في الجانب النفسي، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿[الضحى: ٩]، وقال ذاماً أقواماً: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿[الفجر: ١٧]، وقال: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ ﴿[الماعون: ٢].

الرابع: أمر الله عز وجل بالإحسان إلى اليتيم وحسن تربيته، يقول الله عز وجل: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَعَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ فَلْإِصْلَاحٍ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبَهُمْ فَاخْوَانَكُمْ ﴿[البقرة: ٢٢٠].

الخامس: يعلي الله عز وجل في القرآن الكريم من شأن اليتيم، ويبين أن جلب المنفعة له من خصال الصالحين والأنبياء، ففي قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر يتكفل العبد الصالح ببناء جدار، والبناء يتحمل فيه الإنسان مشقة وعناء، ثم بعد ذلك يعلل ويقول: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴿[الكهف: ٨٢].

والله جل وعلا أمتن على الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ولد يتيماً ونشأ يتيماً، فكان يتمه تشریفاً وتكريماً لكل مسلم يتيماً^(١). وإذا تصفحنا تاريخ الإسلام وجدنا أن كثيراً من عباقرة الإسلام والمبدعين على أكثر من صعيد كانوا قد فقدوا آباءهم وهم صغار، وما ذلك إلا نتاج ملموس للتوجهات الإسلامية في هذا الجانب، والتي أصبح المجتمع يقوم بها بشكل طوعي وتلقائي حتى في الأوقات التي تتخلى فيها الدولة عن واجبها فإن هذه العناية لم تغب إذ قام بها المجتمع وأقام لها من المؤسسات الخيرية ما يلبي حاجتها.

المطلب الثالث: الفقراء والمساكين.

جاءت النصوص القرآنية بالحض على مواساة الفقراء والمساكين وبذل العون لهم مادياً ومعنوياً عن طريق كفالتهم، حيث فرض على المجتمع مسؤولية فقرائه الذين لا يجدون عملاً أو لا تتسع مواردهم للوفاء بحاجتهم، وذلك من خلال عدة أمور:

١- فريضة الزكاة التي تتمثل في خمسة وعشرون بالمئة (٢،٥%) من ثروة المجتمع، تجنيها الدولة كل سنة لتردها على الفقراء والمساكين وغيرهم، من مستحقي الزكاة

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن (٥٦٦/٨)، من كلام الشيخ عطية سالم.

الذين حددهم الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] ، أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد، والمعنى: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير مشتق من فقار الظهر، كأنه أصيب فقاره، والمساكين من السكون، كأن العجز أسكنه، والفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئاً، أو يجد بعض كفايته دون نصفها، والمساكين الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنياً، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم^(١).

٢- الترغيب في التطوع والإحسان إليهم، وابتغاء الدار الآخرة والثواب من الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤَفَّقِينَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

ومثل هذه التشريعات تحقق للمجتمع تواصله وتكافله وأمنه الاجتماعي، لأنها تشعر الغني القادر بأنه مسئول عن الفقير والمساكين الغير القادر في الوفاء بضرورات حياته. فتتامي الألفة والمحبة بينهم، وتدفع الشرور. والمتأمل لأوضاع دول العالم من حولنا يجد أن معظمهم يخصص جزء من المال لكفالة العجزة والعاطلين عن العمل ليعيشوا حياة الكفاف، وبذلك يأمن المجتمع شرورهم، وقد تفرّض الصدقات من البشر كضريبة

(١) ينظر: تفسير السعدي (١/٣٤٠)، ومما يدل على أن الفقير أخرج من المسكين قوله تعالى: أَمَا السَّقِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ، فسماهم مساكين مع ملكهم السفينة، وقيل بالعكس، لقوله تعالى: أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. وقيل: هما سواء. ينظر تفسير ابن كثير (٤/١٤٥).

اجتماعية، أو غير ذلك، لدفع الشرر عن المجتمع، ولكن هذا لا يحدث إلا بعد أن تقع أحداث جسام يشقى بها مجتمع القادرين من مجتمع العاجزين، ويخرج من يقول: لكي تأمنوا شرهم لا بد أن نعطيهم حاجاتهم حتى يستقيم الأمر^(١).

المطلب الرابع: صاحب الجوار.

الجار له خاصية دون الأقارب ، وذلك للقرب المكاني مما يجعله قادراً على مساعدة ومساندة جاره في كل الأوقات، ولا يتحقق ذلك مع الأقارب لبعدهم.

لذا جعل القرآن الكريم للجار منزلة عظيمة، فقد قرن الله تعالى حق الجار بعبادته وأكد على بره وصلته، وكف الأذى عنه وإيصال الخير إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، والجار ذي القربى: هو الجار الذي قرب جواره. أو هو الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين، فإن له مع حق الجوار حق القرابة. والجار الجنب: هو الجار الذي بعد جواره عن جوارك من الجنابة ضد القرابة. يقال: اجتنب فلان فلانا إذا بعد عنه. وقيل هو الجار الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره، ويقابله الجار ذو القربى^(٢).

والإسلام أوصى بالجار الوصاة بالجار مسلماً كان أو كافراً. والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى والمحاماة عنه، ويشمل الجوار الجار في العمل وفي السفر ونحو ذلك^(٣)، فعن عائشة ، عن النبي ﷺ قال: " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ " ^(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: " وَاللَّهِ

(١) وهكذا نجد أن تشريعات البشر لا تأتي إلا بعد أن يشقى المجتمع لفترة طويلة من وضع موجود، ولكن الحق سبحانه وتعالى رحمة منه بخليفته في الأرض جاء بالتشريع من أول الخلق، بل من قبل الخلق؛ حتى يرتب للإنسان حياة سعيدة خالية من الشقاء. ولذلك شرع الدين ورتب أحكامه لينزل إلى البشر؛ فيكون منهجاً لهم يحميهم من شرور قاسية قبل أن تقع. ولا شك أن أي مجتمع يحقق هذا التكافل سيكون مجتمعاً سعيداً لا يشعر فيه الفقير بذل الحاجة ولا الغني بمنّة العطاء. تفسير الشعراوي (٥٢٤١/٩)، بتصريف.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط (١٤٧/٣).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٩/٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الوصاة بالجار (٦٠١٥) (١٠/٨).

لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" (١)، وقال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ" (٢). وهذا التوجيه القرآني الذي شمل رعاية حقوق الجار هو من مظاهر التكافل.

وقُسمت حقوق الجوار إلى ثلاثة أقسام وهي :

١- جار مسلم قريب له ثلاثة حقوق حق الجيرة وحق الإسلام وحق الرحم.

٢- جار مسلم غير قريب له حقان حق الجيرة وحق الإسلام.

٣- جار له حق واحد وهو الجار غير المسلم (٣).

المطلب الخامس: الضيف والغريب.

لقد حث الله تعالى على الإحسان إلى الضيف والغريب في عدة آيات قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ يَوْمَ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى في آية الحقوق العشرة: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿ [النساء: ٣٦]، وقال جل جلاله في آية براءة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَلَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [التوبة: ٦٠].

ابن السبيل: المسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد، والسبيل: الطريق، وقيل للضارب فيه

ابن السبيل للزومه إياه، وقيل هو الضيف (٤). فأكرم الإسلام ضيافته ورحم غربته وجعل

له سهماً لبناء بيوت للضيافة وموائد للطعام.

المطلب السادس: الجبل القادم

أشار القرآن الكريم إلى العلاقة بين أجيال الأمة المسلمة بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا

مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ [الحشر: ١٠]، وهي صورة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من لا يؤمن جاره بوائقه (٦٠١٦) (١٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (٦٠١٩) (١١/٨).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٧٨/١٠).

(٤) روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ينظر: تفسير الطبري (٥٣٠/١١).

إنسانية مثلى للتكافل يحنو فيها الحاضرون على الخالفين، وتهفو قلوب الخالفين إلى الماضين بالود، وتتحرك ألسنتهم بالاستغفار، فيتحقق بذلك التكافل الشامل لأمر الآخرة والأولى لكافة أجيال الأمة وحتى يحمل جيل المستقبل انطباعاً جيداً عن جيل الحاضر، ويحفظ له مكانته ويستغفر له، ويحمل له في قلبه أرق المشاعر، وهكذا ينبغي أن يحس جيل الحاضر بهذه العلاقة المتبادلة وبآثار تصرفاته على من سيأتي بعده، فلا ينتهب الموارد ولا يبديد طاقات الحياة التي يمتلكها وحده، وهذا يسهم في حل كثير من الأزمات المعاصرة، ويحاصر كثيراً من الأخطار التي تواجه مستقبل البشرية والتي نشأت من جراء لهات هذا الجيل وراء مصالحه دون اعتبار للمستقبل البشري العام، وهي أخطار ومشكلات كثيرة لعل من أخطرهما مشكلة البيئة والموارد الطبيعية، ونجد مراعاة هذا التكافل بين الأجيال في سياسة عمر بن الخطاب < في أرض السواد الأرض الزراعية الخصبة في العراق حينما فتحها المسلمون وأراد الجنود أن يقتسموها بينهم شأن بقية الغنائم فرفض هذا الرأي قائلاً: "إني أريد أمراً يسع الناس أولهم وآخرهم"، فقرر أن يضرب الخراج على هذه الأرض، ويتركها في يد عمال يعملون فيها ويؤدون ضريبة لبيت المال (الخزينة العامة للدولة). فهو تكافل لا يقف عند تحقيق مصالح الجيل الحاضر بل يتعدى ذلك إلى نظرة شاملة تضع في الاعتبار مصالح أجيال المستقبل^(١).

المبحث الثالث: مظاهر ضعف التكافل والتواصل الاجتماعي، وعلاجها

هناك عوامل أدت إلى ضعف التكافل والتواصل بين أفراد المجتمع أشار إليها القرآن الكريم، وبين علاجها، من أهمها:

المطلب الأول: الإعراض عن الناس والتكبر عليهم، وعلاجه.

أكثر ما يفسد ويضعف العلاقات الاجتماعية مع الآخرين الإعراض عنهم، والتكبر عليهم، لأن المتكبر يرد الحق ولا يقبله، ولا يذعن إليه، ولا يعترف بخطئه ولا تقصيره ولا سوء عمله؛ فهو معجب بنفسه، والمتكبر يحقر الناس ولا يرى لهم قدراً، ويستتكف أن يسألهم عما يجله، ولا يقبل تعليم من يعلمه، ولا يقبل نصيحة ناصح؛ لأنه لا يراه شيئاً، ويرى أن على الناس أن يلهجوا بالثناء عليه، يأنف من مجالستهم ومحادثتهم، يرى أنه هو الناجي وهم الهلكى، إلى غير ذلك من آثار الكبر وأفعال المتكبرين التي تقطع أواصر المجتمع، فالعلاقة بين

(١) ينظر: "دراسات إسلامية" لسيد قطب - دار الشروق.

التكبر على الناس وبين ضعف التواصل، والتكافل معهم واضحة لأن المتكبر يرى في نفسه القوة والقدرة، ويتضخم عنده هذا الشعور، حتى تجسّم في سلوك مذموم، نفر الناس من حوله، وقد عالج القرآن الكريم ذلك بتوجيه المسلم إلى ذم ونذ الكبر، وتقوية العلاقات مع أفراد المجتمع، ويتجلّى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ففيها بيان لعنى الله تعالى على قلب المتكبر وبصيرته فلا يهتدي إلى الحق أبداً.

٢- قال الله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٢ - ٢٣]، بيان لبغض الله لمن أدى به الكبر إلى الاختيال والفخر.

٣- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [القمان: ١٨ - ١٩]، دلت الآية على أنه لا يستكبر عن الحق إلا من لم يؤمن بالآخرة، ويكفيه خزيًا أن الله تعالى لا يحبه، ومعلوم أن الله لا يكرم إلا من أحبه ورضي عنه.

٤- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، فيها حكم على المتعاليين على الناس بحرمانهم من جنة الله ورحمته في الآخرة.

٥- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، فيها دلالة على أن قلوب المتكبرين مغلقة عن الحق وعن النور؛ جزاء من الله وعقاباً لهم.

٦- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ففيها الحكم على المستكبرين عن الخضوع للحق بجهنم، يُعذبون فيها صاغرين ذليلين؛ لأن معنى داخرين: صاغرون.

٧- قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْغِ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٧ - ٣٨]، فيها تهكم بالمتكبرين، وإشعار لهم بضآلتهم وتفاوتهم، فمهما استطلوا، فإن فوقهم ما لا

يطولونه، ومَهْمَا دَقُوا الْأَرْضَ اخْتِيَالًا وانتفاخًا بالكِبَرِ، فلنَّ يَخْرُقُوهَا أو يُوَثِّرُوا فيها نتيجة كِبَرِهِمْ، بل حَفْنَةَ ترابٍ تُثِيرُهَا رِيحٌ كَفِيلَةٌ بأن تَغْشَى عِيونَهُمْ، وتَجْعَلُهُمْ سَخْرِيَةً للناس.

فِعلاج الاعراض والكبر يكون :

أ/ باستئصاله من القلب بالعلم اليقيني ومعرفة المتكبر لربه، ولنفسه، واكتساب حقيقة التواضع، فيعرف أنَّ الكبرياء هو لله وحده لا شريك له، وأن يعرف المتكبر قدر نفسه، فقد نشأ من نطفة قدرة، ثم يصير جيفة قدرة، وأنَّ كل ما يملكه من علم ومال وجاه وسلطان هو هبة محضة من الله تعالى، ولو شاء لسلبه ذلك، وعلى المتكبر التعري أمام نفسه ومصارحتها على أسباب إعجابه بنفسه وتكبره على الناس، ثم لينقض تلك الأسباب سبباً سبباً، فإذا كان سببه :

١- العلم الذي عنده، فهو قليل جداً بالنسبة إلى ما يجمله ﴿ وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهناك من هو أعلم منه ﴿ وَأَوْفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]، فلم العجب والكبرياء؟ وأنَّ العلم الحقيقي هو الذي يكسب النفس الفضائل كالتواضع ويحجزها عن الرذائل مثل الكبر.

٢- العبادة والتقوى والورع، فهي حق الله على العبد، ولا يحق للعبد أن يُمَنَّ بها على الله، ولا أن يتكبر على الخلق لقيامه بما هو حق عليه، والله هو الذي مكَّنه منها وهداه إليها ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وأي تقوى هذه التي لا تقى صاحبها من منازعة الله حقه الخالص في الكبرياء، ولا تعصم صاحبها من التمرغ في رذيلة أخرجت إبليس من ملكوت السماوات والأرض، وجعلته طريداً معلوناً إلى يوم الدين، يوم امتنع من السجود لآدم تكبراً منه عليه، وإعجاباً بنفسه؛ حيث قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٢].

وكيف يتكبر بعبادته على الخلق وهو لا يعلم هل قبلت عبادته أم لا؟، وخاتمته مجهولة، وقد نهى عن تركية نفسه، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَرْكَبُوا أُنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْمَرُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢].

٣- المال والسلطان والجاه وقوة الأنصار والأتباع والتعزز بالأحساب والأنساب، فكلها من الأباطيل وإيحاءات من الشيطان الرجيم. فالمال غاد ورائح، والسلطان لا يبقى فالأيام دول، والجاه مثله، وقوة الأنصار والأتباع لا تغني من الله شيئاً: ﴿ وَيَوْمَ حُجِّبِ

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴿ [التوبة: ٢٥]، والتعزز بالأحساب والأنساب يعني تشبث وتعزز بعظام بالية إن بقيت العظام!! وما يغني^(١).
ب/ اكتساب حقيقة التواضع عند مخاطبة ومخالطة الناس.

فيقبل عليهم بوجه طلق، ولا يصعر الخد لهم، وقد وصف الله صنفاً من أهل النار بقوله: ﴿ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩]، فثناء العطف والإعراض بالوجه أثناء الحديث، كل ذلك يضعف علاقته بغيره، وأنظر إلى رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة من الملوك: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ - ٣١]، جرد مقالته من كل المقدمات (الملك، الدكتور، المهندس، ٥٠ أ.خ)، وسطرها بكل تواضع يشعر بعبوديته لله سبحانه، فقال بكل يسر وسهولة: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ - ٣١]، ونحو ذلك صدر من رسول الله ﷺ في رسالته إلى هرقل (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)، وفي أثناء الرسالة ما يشعر بالعبودية إذ فيها: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وكذلك قول عموم الرسل لأقوامهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، فهكذا عليك أن تشعر من أمامك بالتواضع له أثناء الحديث، وبخفض الجناح له أثناء الحديث، وقد قال النبي ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ" (٢)، فمن تواضع لله سبحانه أعزه الله سبحانه وتعالى (٣).

(١) ينظر: أصول الدعوة (١/٣٦٠)، لعبد الكريم زيدان.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨) (٤/٢٠٠١).

(٣) قال ابن القيم ~ في مدارج السالكين (٢/٣٢١): "ولا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تغضب، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك، وإذا لم ترد عليه حقه، فكيف تمنعه حقا له قبلك؟ بل حقيقة التواضع أنه إذا جاءك قبلته منه، وإذا كان له عليك حق أدبته إليه، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه، ومن إيتائه إياه".

فالخلاصة: علاج الكبر أن يرى الانسان نفسه كالناس وأنهم مثله ولدوا من أم وأب كما ولد وأن التقوى هي المعيار الحق فالتواضع بكافة صورته هو مؤشر لتقوية أواصر التواصل والتكافل بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: سوء الظن بالآخرين.

التفاعل الاجتماعي مطلب أساسي للتواصل والتكافل والتكاتف وسوء الظن يُفسد ذلك للأسباب التالية :

١- يتسبب في العداوة والحقد والبغضاء والشحناء بين الناس، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة بينهم، قال ابن القيم: "أما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطنن والعيب والبغض، يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرون منه ويلحقه أذاهم خارج منهم مع الغش والدغل والبغض"^(١).

٢- يتسبب في عدم ثقة الناس ببعضهم البعض مما يؤدي إلى الفرقة بين العوائل، وتمزق المجاميع البشرية والإنسانية فيتحول المجتمع إلى مجتمع متفرق، يعيش فيه أفراد حالة الغربة والوحدة من الأفراد الآخرين، ويتعاملون مع بعضهم بالرغبة، فأفة سوء الظن من أكثر الآفات ضرراً على استمرارية العلاقات بين أفراد المجتمع وإضعاف روح الموااة بين المؤمنين.

لذا أكد القرآن الكريم في عدة آيات على اجتناب هذا المرض الأخلاقي الفتاك في الأفراد والمجتمعات ونهى المؤمنين عن سوء الظن في تعاملهم الاجتماعي فيما بينهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيراً من الظن بالمؤمنين، وذلك أن تظنوا بهم سوءاً، فإن الظان غير محق، وقال جل ثناؤه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، ولم يقل: الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]^(٢). وقال الرسول

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/١٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٣٢٣).

﴿ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن نُّطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]

والظن: التوهم وعدم التحقيق في الأمور والحكم على الشيء بدون دليل وهو تهمة تقع في القلب بلا دليل والمراد بالنهاي عنه هو تحقيق الظن وتصديقه بالقول أو الفعل دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك^(٢).

وكم أوقع سوء الظن السيئ من فراق بين المتحابين، وقطيعة بين المتواصلين؟
وعلاج سوء الظن يكون بالتالي :

١- معرفة وإدراك خطر سوء الظن كمعصية وأنه من صفات المنافقين.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح: ١٢]؛ فقد دفعهم سوء الظن إلى القول: اعدل يا محمد، والظن في الآية هو التهمة كمن يتهم بالفاحشة أو شرب الخمر مثلاً، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك^(٣).

ويقول تعالى: ﴿ وَيَعْدِبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]، وفي الحديث القدسي: "أنا عند حسن ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن بي شراً فله"^(٤).

٢- إنه من خصال الكافرين: يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧]، والمؤمن يترفع عن الاتصاف بصفات الكفار.

٣- التخلص من سوء بالتخلق بحسن الظن وهو العلاج الرباني الذي ذكره القرآن الكريم في حادثة الإفك، قال الله تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢]، روي عن أبي أيوب الأنصاري وامرأته حينما قالت له: "يا أبا أيوب أسمع ما قيل؟"، فقال: نعم وذلك الكذب

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير (٦٠٦٤) (١٩/٨).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٣٥٧/٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٦٥/١٦).

(٤) ينظر: الجمع بين الصحيحين (٧/٣).

أكنت يا أم أيوب تفعلين ذلك؟، قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك، قالت أم أيوب: نعم^(١). واكتساب حسن الظن يكون بترويض النفس عليه، فكل من يسيء الظن بغيره يسأل نفسه: لماذا أركي نفسي وأتهم غري؟ والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]

ويذم اليهود الذين زكوا أنفسهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّوا أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]

المطلب الثالث: دور المملكة العربية السعودية في علاج ضعف الترابط بين أفراد المجتمع.

لقد كان في مقدمة الأولويات التي اهتمت بها المملكة العربية السعودية تقوية الروابط الأسرية والاجتماعية المستمدة والمنطلقة من العقيدة الإسلامية، لتحقيق أسس التكافل الاجتماعي بين الناس، فأنشأت مصلحة الضمان الاجتماعي لمساعدة المحتاجين والفقراء من المواطنين ورعايتهم عام ١٩٣٢م، حين أرسى المؤسس الأول الملك عبدالعزيز ~ قواعد هذا الكيان الكبير، ثم توسعت دائرة التكافل الاجتماعي، فاحتضنت كل محتاج للرعاية الاجتماعية أو مستفيد منها من الأفراد العاجزين، والمحرومين، وتنوعت سبل رعايتها الاجتماعية حسب تنوع الحاجة إليها.

ثم أنشئت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠هـ، حيث تم إيجاد إدارة للرعاية الاجتماعية مسؤولة عن أعمال الرعاية الاجتماعية والإشراف عليها ومتابعتها، ثم تم إنشاء وكالة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لشؤون الرعاية الاجتماعية التي أصبح لها ميزانية مستقلة، واستفادت الوزارة من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، فوظفتها لتطوير مشاريع الرعاية الاجتماعية وبدأت هذه المشاريع والبرامج في الاتساع لتلبي كل متطلبات الرعاية الاجتماعية المختلفة في جميع المجالات، وعُمل على التنسيق بين هذه الوزارة والجهات الحكومية الأخرى مثل وزارة المعارف، ووزارة الصحة، ووزارة الداخلية، وغيرها

وبدأت خطط التنمية الاجتماعية في التطور، فتم التنسيق بين الجهات البحثية في المؤسسات العلمية ومركز التدريب والبحوث الاجتماعية التابعة لوزارة العمل والشؤون

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٩)

الاجتماعية لمعرفة حجم المشكلات والظواهر الاجتماعية ومؤشراتها، وللاستفادة من الدراسات القرآنية في هذا المجال، وتوظيفها، لحل تلك المشكلات، فنتج عن ذلك تحقق الأهداف التالية:

- أ- تنمية المجتمع السعودي من خلال توفير برامج الرعاية الاجتماعية اللازمة والوقائية من أية ظواهر سلبية.
- ب - تحقيق مشاركة المواطنين في تعزيز برامج التنمية والرعاية الاجتماعية في المملكة ومساندتها.
- ج - تحقيق النمو المتوازن للخدمات الاجتماعية بين مناطق المملكة المختلفة .
- د - زيادة دخل الأفراد المحتاجين من خلال المساعدات ومن خلال جهودهم الذاتية.
- هـ- تقوية الروابط الأسرية والتركيز على رعاية الأطفال وتربيتهم وتنشئتهم على أسس قويمه.
- و- تطوير برامج رعاية الشباب بما ينمي قدراتهم العقلية والبدنية في المجالات الاجتماعية والثقافية والرياضية.
- ز - النهوض بمستوى البرامج الإعلامية، وبمحتواها الاجتماعي والثقافي.
- ح- تعزيز جانب التكافل والتواصل الاجتماعي^(١).

(١) ينظر: الموقع الرسمي لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية.

الخاتمة

بتوفيق الله تعالى وعونه تم هذا البحث، وفي نهايته يحسن أن أشير إلى أبرز نتائجه، فمن ذلك:

١- التكافل الاجتماعي من القيم الإنسانية التي نصَّ عليها القرآن الكريم.

٢- التوجيهات القرآنية لها أثرها البالغ في غرس معنى التكافل بين الأفراد والمجتمعات، وتطبيقها يؤدي إلى تقوية الصلات بينهم.

٣- التكافل أشبه بشجرة مثمرة، إذا غرست جذورها في القلب تكون فروعها، وثمارها في المجتمع.

٤- حث القرآن الكريم على تحقيق تكافل وتواصل المسلمين مع أنفسهم ومع مخالفيهم في الدين، فمن صور التكافل في الإسلام مراعاة الإنصاف مع الصديق والخصم والمسلم والكافر على حد سواء.

٥- مسؤولية المجتمع في تحقيق التكافل في ظل التوجيهات القرآنية هي على ضربين: الأول: يُطالب به الأفراد على سبيل الجوب والإلزام، كالزكاة، والندور، والكفارات، وصدقة الفطر.

والثاني: يُطالب به الأفراد على سبيل التطوُّع والاستحباب، كالوقف الخيري، والوصية، والهدية أو الهبة، والتي من شأنها تقوية روابط المحبة والودِّ والألفة بين فئات المجتمع، كما هو معلوم بالنص، وبالتجربة.

٦- من أهم العلاقات في المجتمع علاقة الأبناء بالوالدين، لذا كان لها مزيد من التوجيه الخاص في القرآن الكريم، لكي ينشأ الأبناء في ظل أبوين رحيمين يولون الأولاد اهتماماً بالغاً، قبل الولادة، وبعدها كسوة، وإطعاماً، وتربيةً، وتنشئةً مستقيمةً، ورعايةً، وتوجيهاً، ومن ثم يأمر الله تعالى بالإحسان، وهذا مما ينمي ويقوي التكافل والتواصل بينهما.

٧- مرحلة الشيخوخة، والكبر في الغالب تحتاج إلى رعاية الآخرين، وقد يزداد أعباؤها عليهم، ولربما استدعى ذلك التضجر والتبرم أحياناً، وهنا يأتي القرآن الكريم للإنذار والنهي ليؤكد ويقوي صلة الاحترام المتواصل والرحمة والذل أمام الوالدين المسنين خاصة، والمسنين عامة.

٨- التكافل بين أبناء المجتمع المسلم، من أعظم مظاهر التعاون والتراحم التناصر: يبدأ

هذا التكافل بين الأقارب بعضهم وبعض، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٥]

٩- تتسع دائرة التكافل لتشمل الجيران وأبناء الحي الواحد في البلد الواحد، بمقتضى حق الجوار، الذي أكدته الإسلام، فقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

١٠- شمولية التكافل الإسلامي للاقليم كله عن طريق الزكاة، التي تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاتِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُلَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

١١- إن من دعائم الدين الأساسية تقوية التكافل جعل المجتمع كالأسرة الواحدة، يحمل فيه العني الفقير، فلا يحظى برضا الله من لم يقم به، ولا ينجو من عذابه من فرط فيه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۗ فَكُّ رَقَبَةٍ ۗ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۗ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۗ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۗ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٨].

١٢- المملكة العربية السعودية كانت ولا تزال الداعم الأساسي لتقوية التكافل، والتواصل بين أفراد المجتمع، في الداخل والخارج، ولا عجب إذ أنها تستمد منهجها من كتاب ربها سبحانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

- ١- أصول الدعوة (١/٣٦٠)، لعبد الكريم زيدان أصول الدعوة، جامعة المدينة العالمية.
- ٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٣- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين عبدالله الهرري الشافعي، تحقيق: هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- تفسير الشعراوي - الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
- ٥- تفسير القرآن العظيم = ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت- ط١، ١٤١٩ هـ.
- ٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١.
- ٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٨- جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- ٩- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١١- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٢- الحضارة الإسلامية، لأحمد عبد الرحيم السايح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ.
- ١٣- "دراسات إسلامية" لسيد قطب - دار الشروق، ١٩٩٥م.

- ١٤- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
- ١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين، بن الحاج الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.
- ١٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ١٧- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ).
- تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ١٨- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٢٠- لسان العرب، لمحمد ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار أحياء التراث العربي - ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨ م.
- ٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- ٢٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).
- تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٤- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، - ١٤٢٠ هـ.
- ٢٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢.
- ٢٦- موقع وزارة الأوقاف السعودية.
- ٢٧- الموقع الرسمي لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية .